على هامش الإختلاف!!

د. صادق السامرائي- الطب النفساني، العراق / أمريكا

أولا: زوايا الاختلاف

نظرنا سوية إلى صورة على قدح ملون فسألته: ماذا ترى؟

قال: ضفدعة.

فقلت له: إني أرى رجلا برأس ضفدعة!!

فتأمل الصورة ثانية وقال: لم أنظر إلى الصورة بكاملها وإنما نظرت إلى الرأس فقط ,واحمر وجهه , ومضينا في عملنا اليومي الصاخب.

هذه من الوقائع المتكررة , والتي نغفلها ويحصل ما يحصل بسببها , وفي كثير من الأحيان نتفاعل كالأعمى الذي لا يمكنه رؤية الفيل , فيحسبه أي شيئ وفقا لما تلمسه يده منه , فيقول أنه جدار أو جلد كما يوحي به إليه الجزء الملموس منه.

وفي تفاعلاتنا اليومية لا يمكن لإثنين أن يريا ذات الصورة في نفس الوقت , ولا يستطيع جمع من البشر أن يرى الصورة كما يراها أي من الجمع منفردا , ولو سألنا مجموعة من البشر أن ترسم ما تراه أو تصفه بكلمات لتبين لنا الاختلاف الكبير فيما نراه , وتلك حقيقة نغفلها ونعمل بغيرها ونحسبه صحيحا.

لا يمكن ل مخلوقين على وجه البسيطة أن ينظرا بعينيهما أو ببصيرتهما إلى الأشياء بزاوية نظر واحدة على الإطلاق, وإن حصل ذلك فأنه معروف في عالم الأمراض النفسية , ويندر أن تجد شخصين أو أكثر يتشاركان بذات الرؤية الوهمية , وتراهما وكأنهما شخص واحد في عدة أبدان.

فلا يكون المجموع فردا ولا يكون الفرد البشري إلا فردا متميزا بأنفاسه وملامح وجهه وجيناته وفسلجة أعماقه وجسمه.

الإختلاف حقيقة خلقية قائمة في الحياة ولن تدوم وتتواصل من غير طاقات الاختلاف , وتفاعلاته الخلاقة المتجددة التي تنجب الصيرورات الحية الباقية.

إن دعاة الرأي الواحد والنظرة الواحدة حالات مرضية بحاجة إلى علاج ذهني , يزيح من عقولهم النظرات السلبية ويزرع فيهم النظرات الإيجابية المتحققة في الحياة.

إن الركض وراء التصورات السلبية مرض خطير يصيب بصائر الناس , ويدفع بهم إلى الويلات وفقا لتصوراتهم العمياء المحددة بزاوية نظر ظلماء.

فالحياة لا تكون بلون واحد وشكل واحد , الحياة مسرح التفاعلات المختلفة , وميدان الولادات المتباينة المتواشجة بأواصر الإختلاف لتصنع حالة أقوى من سابقتها , وتوفر مقومات الأصلح القويم , الذي يستوعب التطورات وحركة الزمن وتفاعلات المستجدات على أرض تدور , وتنجب المزيد من التغيرات وفقا لإيقاع حركتها الدورانية وتفاعلاتها الكونية.

في كثير من الأحيان نتفاعل كالأعمى الذي لا يمكنه رؤية الفيل , فيحسبه أي شيئ وفقا لما تلمسه يده منه , فيقول أنه جدار أو جلد كما يوحي به إليه الجزء الملموس منه.

في تفاعلاتنا اليومية لا يمكن لإثنين أن يريا ذات الصورة في نفس الوقت , ولا يستطيع جمع من البشر أن يرى الصورة كما يراها أي من الجمع منفردا

لا يمكن ل مخلوقين على وجه البسيطة أن ينظرا بعينيهما أو ببصيرتهما إلى الأشياء بزاوية نظر واحدة على الإطلاق, وإن حصل ذلك فأنه معروف في عالم الأمراض النفسية

لا يكون المجموع فردا ولا يكون الفرد البشري إلا فردا متميزا بأنفاسه وملامح وجهه وجيناته وفسلجة أعماقه وجسمه

الإختلاف حقيقة خلقية قائمة في الحياة ولن تدوم وتتواصل من غير طاقات الاختلاف , وتفاعلاته الخلاقة المتجددة التي تنجب الصيرورات الحية الباقية

فلو كان الإختلاف غير ضروري ومفيد للحياة , لما وجدت الأديان المختلفة والأفكار المختلفة واللغات المختلفة , والأجناس البشرية المختلفة والملامح الفردية المميزة للشخص عن غيره.

إن سنة الخلق تقضي بالإختلاف ومن يتابع التطورات العلمية والغوص في أعماق نوات الخلايا الحية يجد أن هذا الرحيل المعقد البعيد في عالم المايكروسومات والجينات والحوامض الأمينية , قد أعطى البراهين الدامغة على أن كل مخلوق يختلف في هيأته الجينية عن المخلوق الآخر , مهما كانت قوة الصلة بينهما , فلكل مخلوق موروثاته الجينية التي تفرقه عن غيره من المخلوقات الأخرى سواءً من جنسه أو غيره

وبثبوت الإختلافات الخلقية ومدلولاتها الفسلجية والسلوكية , فأن الحصيلة النهائية تقضي بأن المخلوقات لا تكون على إتفاق في رأيها وإستجاباتها وتفاعلاتها مع المحيط الذي تعيش فيه , لكنها تهذب تفاعلاتها بالصيغة التي تحافظ فيها على بقائها رغم حقيقة اختلافاتها وتفاعلاتها المتباينة وتشترك بخطوط عريضة تحافظ عليها من الإقراض وتبتعد عن الصراع النوعي فيما بينها , ويكون الإختلاف طاقة مهذبة ومكثفة من أجل إطلاق إمكانيات البقاء والتواصل وفقا لضرورات الزمن الذي تكون فيه أجيالها.

ووفقا لإرادة الحياة ومنهج الديمومة الخلقية , فالإختلاف طاقة لازمة لحركتها وتحقيق الإضافات المفيدة للنوع فيها.

أما أن يتحول الإختلاف إلى غير إتجاهاته وغاياته ويستخدم للإنقضاض على الحياة وغاياتها السامية , فأن في ذلك ضرر قاتل للنوع الذي يسقط في مأزق الاقتراب السلبي من الاختلاف.

فلو أن الأديان يمكنها أن تبقى بلا مذاهب وفرق ومدارس لما وجدت تلك التوجهات , وأي دين لا بد له من المدارس والمذاهب والفرق والجماعات , ليبقى في توقد وتفاعل متجدد وانطلاقة وثابة لا تهدأ. ولو تخيلنا أي دين من غير مذهب ورأي وتصورات ومدارس , لوجدناه سينقرض.

وكلما كثرت المدارس وتعدد ت المذاهب في أي دين , فسيكون أقوى بقدرته على المواصلة والتفاعل وإستنهاض الطاقات الكامنة في الأجيال , لتعطي ما تراه مفيدا في زمنها الذي تتحقق فيه.

ومن هنا فإنطلاقة الإسلام منذ بدئها ووفقا لرؤى نبيها وأصحابه , كانت صحيحة وموفقة في إدامة طاقات التفاعل الحية ما بين المسلمين , بهذه التنوعات الفكرية والمذهبية , التي ترفد الدين بطاقات الحياة الأبدية.

وللجهل نقترب من الحقيقة الكبرى والمثل الإنسانية العليا بمنطق ضيق وأفق ظلامي , ونحسب الأشياء غير ما هي عليه , ونصب على الزمن صديد ظلاميتنا وتصاغرنا في جمجمة اليأس والحقد والكراهية , ونحسب أن ذلك دينا ومذهبا ورأيا مفيدا للحياة والدين.

وأصبحت المذاهب الخلاقة التي ترفع أعمدة خيمة الإسلام الكبرى على أنها ضعفا وليست قوة وانطلاقا متواصلا في الزمن البعيد , بجهد مفكريها والمتفقهين في أصولها وقواعدها وحيثياتها الفكرية والروحية والمعرفية , وتحولت من مدارس ذات قيمة فكرية إلى إتجاهات سياسية وطموحات كرسوية تضر بها وبالدين الحنيف.

إن الإقتراب السلبي من المواقف والأحداث يحقق الواقع السلبي والتفاعلات المؤذية , وتستنزف الطاقات وتصبها في الرمال , وترمي بالأجيال في جحيمات إنفعالية لا منقذ منها.

ولكي تتحقق غاية الإختلاف وإرادة البقاء الصحيح والتنوير الحضاري الخلاق , يجب التخلص من سلبية الرؤى والتصورات , والإنتقال بالعقل إلى الإيجابية والقدرة على التحمل , والتفاعل الموضوعي البناء فيما يتعلق بالرؤى والتصورات المختلفة , سواءً كانت على مستوى المذاهب والمدارس والأحزاب أو الأفراد.

وأن يتحقق الإقرار بضرورات الإختلاف وأهميته في بناء الحياة وتطور الأمم والشعوب والأوطان. وهذا التوجه يحقق إنطلاقة حضارية نوعية تتفق ومبادئ الإسلام والمثل والقيم الإنسانية والسماوية السامية.

إن دعاة الرأي الواحد والنظرة الواحدة حالات مرضية بحاجة إلى علاج ذهني , يزيح من عقولهم النظرات السلبية ويزرع فيهم النظرات الإيجابية المتحققة في الحياة

الحياة لا تكون بلون واحد وشكل واحد , الحياة مسرح التفاعلات المختلفة , وميدان الولادات المتباينة المتواشجة بأواصر الإختلاف لتصنع حالة أقوى من سابقتها , وتوفر مقومات الأصلح القويم

إن سنة الخلق تقضي بالإختلاف ومن يتابع التطورات العلمية والغوص في أعماق نوات الخلايا الحية يجد أن هذا الرحيل المعقد البعيد في عالم المايكروسومات والجينات والحوامض الأمينية , قد أعطى البراهين الدامغة على أن كل مخلوق يختلف في هيأته الجينية عن المخلوق الآخر

يكون الإختلاف طاقة مهذبة ومكثفة من أجل إطلاق إمكانيات البقاء والتواصل وفقا لضرورات الزمن الذي تكون فيه أجيالها

أما أن يتحول الإختلاف إلى غير إتجاهاته وغاياته ويستخدم للإنقضاض على الحياة وغاياتها السامية , فأن في ذلك ضرر قاتل للنوع الذي يسقط في مأزق الاقتراب السلبي من الاختلاف

أي دين لا بد له من المدارس والمذاهب والفرق والجماعات , ليبقى في توقد وتفاعل متجدد

أما الغرق في أحواض الأنانية والكرسوية والإختناق بالمذهبية العمياء والرؤى الحمقاء والتوجهات السوداء فلا ينفع ولا يدوم , لأن الحياة تبقي ما يحققها ويدفع بها إلى الجد والإجتهاد , والتطلع الفائق البناء إلى التجدد والتألق في الآفاق الكونية , وما يناهض صيرورتها الواضحة ينتهي في رمال النسيان والفناء.

ثانيا: ضرورات الإختلاف

الإختلاف أن ترى مالا أراه , ويشمل مفردات وأدوات التفاعل مع الموضوع الذي يتم الإختلاف عليه والمتعارف عليه أن الإختلاف مذموم والإتفاق محمود ومرغوب , وقد تشكل الوعي البشري في معظم الأوطان على هذه القاعدة أو الخرافة الإدراكية , التي تسببت في الكثير من الأزمات والويلات.

فالحقيقة الكونية للوجود هي الاختلاف , وتعريف الحياة الواضح تفاعل الإختلاف وتزاوجه وصراعه.

فالحياة في معظم جوانبها عبارة عن تفاعلات وتزاوجات مختلفة , وفي بعض جوانبها الأخرى تصارع إختلافات ,والتشابه في الحياة معدوم لأنه لا يصنع ديمومتها وتناميها , والإختلاف عميم لأنه يفجر طاقات مخلوقاتها ويوفر مرتكزات تطورها وتجددها.

إن للإختلاف غاية وضرورة وجودية قائمة للأبد , فغايته رفد الحياة بطاقات التواصل والرغبة والتنامي والخلق المتجدد , وبدون حرارة الإختلاف تنتفي الحياة ويذبل كيانها ويغيب خلقها.

هذه البديهية الوجودية ننكرها ونتوهم بأن علينا أن نتفق ونتماثل لنكون, وهذه مغالطة فكرية وخرافة معرفية تنافي طبائع المفردات الكونية , وتقضي على الحقائق البسيطة القائمة من حولنا.

أنظر إلى النباتات من حولك ستراها في إختلاف جميل , وتأمل المخلوقات ستعرف أنها في إختلاف رائع بديع فالأحياء لا تتشابه وإن تشابهت تموت , فبالاختلاف تحقق الحياة وبالتشابه تعلن الموت. ولنا عبرة في إختلاف الليل والنهار والشمس والقمر والفصول والأزمان.

وتأمل إختلاف الحكّام وتبدلهم وديمومتهم في الحكم ,فإستمرارهم الطويل ينافي طبائع الحياة ويقضي عليها في البلد الذي يحكموا فيه , ويمحق مفردات الإختلاف بحبسها وخنقها بالقوة , التي لا تستمر على حالها لصنعها إنفجار مدوي , بينما تبدلهم المتواصل يحافظ على تطور الحياة وتقدم الأوطان لأنه يرعى ويحقق إرادة الإختلاف.

فنحن نختلف لنبقى ونتفق لنموت!

الإتفاق موت لأنه يقضي على الإبداع ويقتل العطاءات المتنورة بالمعرفة والعلم , ويحجّر البصيرة ويحاصرها ويمنعها ويأسرها, بل أنه سجان رهيب وقتال عجيب , يرى لونا واحدا ويعرف دربا فريدا ويؤدي إلى الإصابة بعمى الحياة , وحمى الإنغلاق ويلغي المستقبل.

الإتفاق تصنّم وتدهور وتبعثر لا يسمح بتحقيق قدرات المخلوقات ويحاصرها داخل حدودها الذاتية , ويغلق الأبواب على كل منطلق إبداعي جديد , فالإتفاق إنحباس للطاقات ومنع للتجدد , ويولد ضغط داخلي هائل , يؤدي لإنفجارات مأساوية في حياة البشر.

وعليه فأن الإتفاق حالة مذمومة لا تصلح للحياة , وتنافي طبائع الوجود وقوانين الكون والإبداع الإلهي العظيم , بينما الإختلاف يعطي للمخلوقات فسحة لتفريغ شحناتها الخلقية في وسائل وطرق متنوعة , تمنحها التميز وتضخها بطاقات التجدد والإضافات الأصيلة.

أن المخلوقات تؤكد حياتها وفقا لما فيها من مبررات الإبداع والفعل والعطاء و وكلما أفرغت ما عندها تحققت راحتها وسعادتها , وعبّرت عن نفسها بأسلوب وادع رحيم , فتتحقق التفاعلات السعيدة المبهجة بين الخلق.

إن الشر بأبسط تعريفاته تعبير أعوج عن طاقات مكبوتة مُنِعت من الحياة , مما أدى بها للإنحراف

وانطلاقة وثابة لا تهدأ. ولو تخيلنا أي دين من غير مذهب ورأي وتصورات ومدارس , لوجدناه سينقرض.

كلما كثرت المدارس وتعددت المذاهب في أي دين , فسيكون أقوى بقدرته على المواصلة والتفاعل وإستنهاض الطاقات الكامنة في الأجيال , لتعطي ما تراه مفيدا في زمنها الذي تتحقق فيه

أصبحت المذاهب الخلاقة التي ترفع أعمدة خيمة الإسلام الكبرى على أنها ضعفا وليست قوة وانطلاقا متواصلا في الزمن البعيد , بجهد مفكريها والمتفقهين في أصولها وقواعدها وحيثياتها الفكرية والروحية والمعرفية

لكي تتحقق غاية الإختلاف وإرادة البقاء الصحيح والتنوير الحضاري الخلاق , يجب التخلص من سلبية الرؤى والتصورات , والإنتقال بالعقل إلى الإيجابية والقدرة على التحمل , والتفاعل الموضوعي البناء فيما يتعلق بالرؤى والتصورات المختلفة , سواءً كانت على مستوى المذاهب والمدارس والأحزاب أو الأفراد

الإختلاف أن ترى مالا أراه , ويشمل مفردات وأدوات التفاعل مع الموضوع الذي يتم الإختلاف عليه

المتعارف عليه أن الإختلاف مذموم والإتفاق محمود ومرغوب , وقد تشكل الوعي البشري في معظم الأوطان على

الإنتقامي الذي يهدف إلى تحقيق إلغاء فرصة الآخر في الصيرورة والإنطلاق.

إن التعريف البالي للإختلاف هو العداوة والشحناء والإقتتال وهذا ليس صحيحا , ففي عصر الثورة المعلوماتية المتزايدة أصبح الاختلاف ضرورة ماسة وقوة لازمة للحياة المتطورة , وأصبحت جمهرة العقول المتفاعلة هي القاعدة والعقل المتفرد هو الشذوذ.

إن الإختلاف يعني تفاعل وتزاوج الأفكار والرؤى للوصول إلى رؤية أشمل وتصور أصدق وأفضل. إن كل مخلوق يرى من الشيئ بعضه ومن الموضوع جزئه , ولابد من وضع البعض والجزء معا في إناء واحد لتتضح الصورة والموضوع , وإلا فالرؤية والإدراك سيكونان ناقصين ومشوهين.

فالعين الواحدة لا ترى كل الصورة والأذن لا تسمع كل الأصوات والعقل لا يدرك كل المعرفة واليد لا تمسك بكل الأشياء.

ولهذا فأن الاختلاف من ضرورات الإبداع والعطاء الفكري المتطور , لأنه يدفع إلى تحفيز قدرات العقول للإستقراء والاستنباط والنفي والإثبات, فالمستنقعات الراكدة لا تنجب شيئا مفيدا , بينما المياه المتقلبة في البحار والمحيطات تكتنز أعظم أسباب الحياة.

إن الفرق بين الإتفاق والإختلاف كالفرق ما بين المستنقع والماء الجاري في الأنهار ,فالإختلاف يعني الحياة والإتفاق يعني الموت والهلاك. إن الحضارات تتطور بالتنوع والإختلاف وتتلاشى بإلغائهما وسيطرة القوة الواحدة المتفردة على مقاليد الأمور وإيقاع الحياة.

فإختلاف المذاهب والمدارس والإتجاهات والإجتهادات ضرورة ماسة لقوة الأديان والأحزاب والحركات , ونسميها إنشقاقات بينما هي تفرعات وتشعبات صحية.

إن أبناء الوطن في الدول القوية يختلفون ويجتمعون على حقيقة واحد وأساسية مفادها أنهم يعيشون في وطن واحد ومصلحتهم مرهونة به , فعزهم من عزه وذلهم من ذله , لكنهم يختلفون في لغتهم وعروقهم وقومياتهم ومذاهبهم وفي الكثير من مفردات حياتهم , ويدركون أنهم أبناء وطن واحد لايمكن للإختلافات أن تعلو على هذه الحقيقة السامية , وعندما تتهدد الحقيقة يتناسون إختلافاتهم وتكون حقيقة الوطن الواحد رايتهم التي يسعون للحفاظ على سلامتها.

من هنا نصل إلى وعي حقيقة أن للإختلاف إطار شامل , إنه ليس منفلتا وسائبا , بل وجودي كوني الأبعاد تحكمه قوانين الديمومة والبقاء المطلقة.

فأبناء الدين الواحد يختلفون في مذاهبهم وإجتهاداتهم وثقافاتهم ومفردات حياتهم , لكن راية دينهم الواحدة تجمعهم وصفة ذلك الدين وأساسياته النظرية تضمهم وتشملهم.

والخلاصة إن الإختلاف صيرورة حضارية وثقافة متجددة وديمومة متحققة , والحياة بالتفاعل الجاد الهادف تكون , وبتحقيق فسحة مناسبة للعقول لتبدع وتدلي برؤاها وأفكارها تنمو وتزدهر , وان النظرة السلبية للإختلاف تساهم في التدهور والضياع وخسارة الجميع لآمالهم وتطلعاتهم ولا يفوز

هذه القاعدة أو الخرافة الإدراكية , التي تسببت في الكثير من الأزمات والويلات.

الحقيقة الكونية للوجود هي الاختلاف , وتعريف الحياة الواضح تفاعل الإختلاف وتزاوجه وصراعه.
فالحياة في معظم جوانبها عبارة عن تفاعلات وتزاوجات مختلفة

إن للإختلاف غاية وضرورة وجودية قائمة للأبد , فغايته رفد الحياة بطاقات التواصل والرغبة والتنامي والخلق المتجدد , وبدون حرارة الإختلاف تنتفي الحياة ويذبل كيانها ويغيب خلقها

نحن نختلف لنبقى ونتفق لنموت!
الإتفاق موت لأنه يقضي على الإبداع ويقتل العطاءات المتنورة بالمعرفة والعلم , ويحجّر البصيرة ويحاصرها ويمنعها ويأسرها

الإتفاق تصنّم وتدهور وتبعثر لا يسمح بتحقيق قدرات المخلوقات ويحاصرها داخل حدودها الذاتية , ويغلق الأبواب على كل منطلق إبداعي جديد

عليه فأن الإتفاق حالة مذمومة لا تصلح للحياة , وتنافي طبائع الوجود وقوانين الكون والإبداع الإلهي العظيم , بينما الإختلاف يعطي للمخلوقات فسحة لتفريغ شحناتها الخلقية في وسائل وطرق متنوعة

ثالثا: كيف يتحول الإختلاف إلى خلاف؟

هل نعرف معنى الرأي الحر؟

المتأمل لواقعنا يكتشف أننا لا نتحاور بل نتخاصم , فالحوار أن نجد جوابا لسؤال ما , ولكي نجيب على السؤال لابد من إعمال العقل , والبحث والتدقيق والجد والإجتهاد والتعمق بالمسألة , وإستثمار طاقات العقل والإبداع والتنوير.

والتخاصم تعادي ويتم فيه إعمال العاطفة , وتحفيز طاقات الشر والتوحش والإنقضاض والإفتراس. وهكذا فالحوار معدوم والتعادي معلوم. وبالحوار ننمو وبالتخاصم نذوي.

ولكي نتخاصم فأننا نحيط آراءنا بشحنات عاطفية تدمر البصيرة.

إن البشر يميل للتفرد والإعتداء والتوحش والدفاع عن الذات والإقتتال وهي غرائز متبقية فينا منذ أن سعينا على هذه الأرض , وتصارعنا مع أخطارها من أجل الحفاظ على نوعنا البشري والبقاء الدائم فيها.

أنها غرائز مفيدة في تلك الظروف وفقدت الكثير من جدواها وفوائدها , بعد أن تطورت الحياة البشرية وتكونت المجتمعات والحضارات وصار التفاعل مع البشر معقدا ومتطورا.

لقد هذبت البشرية طباعها , وانتقلت إلى مجتمعات إنسانية متفاعلة حية و تتحقق فيها المثل السامية.

في المجتمعات الإنسانية صار للعقل دور أكبر من العاطفة , وللأفكار أثر أعظم من العواطف وأصبحت الدول المتطورة تبحث عن الأفكار , وتجدها الأساس للقوة والتطور والإنطلاق.

إن الأفكار قوة ومنطلق إلى عوالم رحبة جديدة , من هنا أطلقت حرية التفكير والرأي لتستمر حياة التقدم والسعادة والرفاه.

لقد أدركت الدول المتطورة بأن خنق الأفكار يعني الموت والتأخر والهزيمة , وعرفت جيدا بأنها بأفكار أبنائها تتطور وتسابق غيرها في عالم اليوم والغد البعيد.

ومن هنا جاءت حرية الرأي لأنها ذات مردود حضاري وإقتصادي وثقافي وإبداعي وبقائي , بمعنى أن الصراع من أجل البقاء لم يعد عاطفيا بل فكريا وعقليا , وبحاجة لإعمال العقول وعدم التفريط بأي منها.

فحرية الرأي من ضرورات بقاء الأمم وقوتها وتطورها , ومن أساسيات قوة أي نظام إجتماعي سواء كان سياسيا أو تجاريا أو ثقافيا , فما عاد للرأي الواحد قدرة على البقاء في هذا الزمان , فالعقل الواحد لا يمكنه أن يواجه جمهرة من العقول , التي تتفحص الموضوع من زوايا متعددة , وذلك العقل يراه من زاوية واحدة وحسب , ويتيقن بأن ما يراه الحقيقة المطلقة وجمهرة العقول على خطأ.

وفي المجتمعات الصاعدة على سفوح التقدم تبرز أهمية الإختلاف في الرأي.

ومجتمعاتنا تعاني من المشاكل التالية:

1-التخاصم

الآراء تطرح بأسلوب تخاصمي لا تفاهمي , والناس لا يتبادلونها وينتقلون بها إلى مراحل متقدمة من الإبداع النزيه , الذي يساهم بنماء قوة وقدرات التفكير لدى الأطراف , ويتمسكون بالفكرة ويستحضرون المسوغات الإنفعالية والعواطف اللازمة لتأكيدها وتضخيمها والتوهم بأن الحياة تكون بها وكأنها الفكرة الأوحد.

أي يضيّقون على أنفسهم ويزعمون الحياة ضاقت وصغرت وتيبست عروقها وانتهى دورها , لأن الفكرة التي يرونها يوجد من لا يأخذها عنهم ويشاركهم بها , أو بتعبير أصح يتم إستعباده بها , وفي ذلك تدمير للحياة وللرسالة الإنسانية , وقتل لأصحاب الفكرة أنفسهم وغيرهم , وقد يكون التعبير عن أفكارنا إنتحاريا لا يجلب الفائدة للفكرة والرأي.

2- الخلط

الناس لا يفصلون بين الذات والموضوع , بين ما يقولونه وما يرونه وأنفسهم , فتكون معارضة الرأي إهانة وإعتداء على الأنا.

إن هذا الخلط يدفع للتشويش والإضطراب والتنافر والتحارب دون جدوى , بينما الصائب هو الفصل بين ما نراه في موضوع ما ونفسنا , فعندما ترى ما تراه في موضوع ما , وأنا أرى ما أرى فيه لا يعني إننا في خصام وتنافر ونزاع , بل نقول وجهات نظرنا وفقا لما هو متوفر لكل منا من معلومات وحقائق ومسلمات , فأنت صحيح وفقا لمقدار ما تدري وأنا كذلك , وعلينا أن نجتهد في إكتشاف المشتركات عليه فيما نراه ونحاول إستثماره وتطويره , وعند ذاك سنجد أن التباين تضاءل والتفاعل تنامي والعطاء ازدهر ,

في عصر الثورة المعلوماتية المتزايدة أصبح الاختلاف ضرورة ماسة وقوة لازمة للحياة المتطورة , وأصبحت جمهرة العقول المتفاعلة هي القاعدة والعقل المتفرد هو الشذوذ.

إن الإختلاف يعني تفاعل وتزاوج الأفكار والرؤى للوصول إلى رؤية أشمل وتصور أصدق وأفضل

العين الواحدة لا ترى كل الصورة والأذن لا تسمع كل الأصوات والعقل لا يدرك كل المعرفة واليد لا تمسك بكل الأشياء

أن الاختلاف من ضرورات الإبداع والعطاء الفكري المتطور , لأنه يدفع إلى تحفيز قدرات العقول للإستقراء والاستنباط والنفي والإثبات

إن الفرق بين الإتفاق والإختلاف كالفرق ما بين المستنقع والماء الجاري في الأنهار ,فالإختلاف يعني الحياة والإتفاق يعني الموت والهلاك

إختلاف المذاهب والمدارس والإتجاهات والإجتهادات ضرورة ماسة لقوة الأديان والأحزاب والحركات , ونسميها إنشقاقات بينما هي تفرعات وتشعبات صحية

إن أبناء الوطن في الدول القوية يختلفون ويجتمعون على حقيقة واحد وأساسية مفادها أنهم يعيشون في وطن واحد ومصلحتهم مرهونة به , فعزهم

وحقق الأطراف فائدة متناسبة , وسنربح سوية ولم نخسر سوية.

فمن عجائب السلوك أن البشر يذهبون لحروب مدمرة لجميع الأطراف من أجل الجلوس على طاولة المفاوضات , والوصول إلى مرحلة تبادل الآراء والتعبير عن المهارات الإقناعية.

3-إغفال البديهيات

إن تباين وجهات النظر من بديهيات الحياة الأساسية , ومن ضرورات إستمرارها وتجددها , فلو نظرنا حولنا فسنجد إختلافا, فالأشخاص مختلفون بتركيبتهم الجينية وهيأتهم.

فالبشر يختلف بكلامه ورأيه عن غيره من أبناء جنسه ولا يمكنه أن يتطابق لأنه يناهض طبيعة خلقه. ولهذا فالحياة فيها الإختلاف سائد والتشابه بائد.

وكل فرد ينزع إلى التميز والتباين الذي يعطيه هويته المحددة.

بل عند ميلادنا نكتسب أسماءا تميزنا عن الآخرين.

وتلك حقائق نعيشها في لا وعينا ونناقضها بسلوكنا الواعي , ونتكاسل عن الجد والإجتهاد لإكتشاف الوسائل التي تحقق سعادة الإختلاف.

فنحسب الألوان لونا واحدا أما أسودا أو أبيضا, ولو تأملنا هذين اللونين فالأبيض يعكس كل الألوان , ولهذا فهو أبيض وهو رداء الموتى (الكفن) , والأسود يمتص كل الألون ولهذا فهو أسود وهو رمز الحزن والموت والبلاء , بينما الحياة زاهية ما بين اللونين.

الحياة مبتهجة بالألوان المتفاعلة المنسجمة بظلالها وإختلافاتها وتمازجاتها وتحولاتها اللونية المطلقة , والموت سعيد بضياع الإختلافات وديمومة الصمت الأبيد.

4-تجاهل الحقائق البسيطة

كأننا لا ننظر الحقائق البسيطة القريبة , ونبتعد إلى فضاءات غير مرئية أو مفهومة , ونلبسها ثوب الحياة ونعيش متوهمين بها.

فالحياة ليست شعارات ومنطلقات نظرية , وأهداف طوباوية , ونظريات فلسفية وتجليات رومانطيقية.

الحياة تستند على حقائق بسيطة وممكنة , وأفكار واضحة قريبة للأذهان والإمكان.

الحياة عبارة عن " من زرع حصد" و"من جد وجد" و"من سار على الدرب وصل", إنها بهذه البساطة والوضوح والشمول.

الحياة هي أمثالنا الشعبية الطيبة النقية الصافية المترشحة من صدق التفاعل مع الحياة , والتي تختزن طاقات الوجود والإبداع والصيرورات الكبرى.

الحياة تتأسس من خلال تفاعلاتنا اليومية الجادة المحكومة بقوانين البديهية والإرادة والإصرار.

الحياة ليست عنادا وإفرادا "كأفراد البعير المعبد".

الحياة إنغماس في صيرورة الأشياء وتمثل لطبائع الأمور ونتائج الأحداث.

فنحن ننسى أدوات صنع الحياة المتوفرة في كنوز أيامنا ونجنح للبعيد الغير مصيب.

5-رفض التفاعل

الحياة تحلو بالتفاعل والإعتداد بالرأي وبإحترام الآخر , لأنه يملك رأيا وموقفا ووجهة نظر, وتكون لذيذة بالجد والإجتهاد والمثابرة والتنافس الحر الشريف , الذي يعني إطلاق طاقات الذات الإنسانية من أجل التحقق الأفضل.

الحياة تصفو وتحلو عندما يجمعنا همّ واحد وغاية واحدة تستوعب طاقاتنا وإجتهاداتنا.

من عزه وذلهم من ذله

إن الإختلاف صيرورة حضارية وثقافة متجددة وديمومة متحققة , والحياة بالتفاعل الجاد الهادف تكون , وبتحقيق فسحة مناسبة للعقول لتبدع وتدلي برؤاها وأفكارها تنمو وتزدهر

المتأمل لواقعنا يكتشف أننا لا نتحاور بل نتخاصم , فالحوار أن نجد جوابا لسؤال ما , ولكي نجيب على السؤال لابد من إعمال العقل , والبحث والتدقيق والجد والإجتهاد والتعمق بالمسألة , وإستثمار طاقات العقل والإبداع والتنوير

التخاصم تعادي ويتم فيه إعمال العاطفة , وتحفيز طاقات الشر والتوحش والإنقضاض والإفتراس. وهكذا فالحوار معدوم والتعادي معلوم. وبالحوار ننمو وبالتخاصم نذوي

في المجتمعات الإنسانية صار للعقل دور أكبر من العاطفة , وللأفكار أثر أعظم من العواطف وأصبحت الدول المتطورة تبحث عن الأفكار , وتجدها الأساس للقوة والتطور والإنطلاق

لقد أدركت الدول المتطورة بأن خنق الأفكار يعني الموت والتأخر والهزيمة , وعرفت جيدا بأنها بأفكار أبنائها تتطور وتسابق غيرها في عالم اليوم والغد البعيد

جاءت حرية الرأي لأنها ذات مردود حضاري وإقتصادي وثقافي وإبداعي وبقائي ,

ولهذا وُجدت الأوطان لتكون وعاءً يتسع لطاقات وإبداعات الملايين , وسفينة كل مَن عليها معني بسلامتها وصحيح إتجاهها.

وهنا لابد من السؤال لماذا تتأسس الأحزاب السياسية؟

أ ليس لكل حزب أهداف وشعارات ومنطلقات ورؤى وأفكار تهدف لتحقيق غايات سامية لمصلحة الشعب والوطن؟

لا يوجد حزب في أي وطن على هذه الأرض يقول بأنه يهدف إلى تدمير وطنه ومعاداة شعبه على الإطلاق.

إذن لماذا لا تتفاعل الأحزاب في الوطن الواحد , ولماذا تعيش الأوطان حياة الحزب الواحد , الذي يذيقها ما يذيقها ويقضي عليها وعلى نفسه؟

إن أي حزب مهما كان عدد أعضائه يتحول إلى شخص واحد بحجم أعضائه , خصوصا عندما يتناسى أهدافه وشعاراته ومنطلقاته وما يحويه نظامه الداخلي , وهذا طبع معظم الأحزاب في العالم الثالث.

الحزب ينسى رسالته وغاياته النبيلة ويتمحور حول ذاته وفرده , فينسى الوطن والشعب ويكون هو كل هذا وذاك.

وهنا تكشر شريعة الغاب عن أنيابها وتبرز مخالب التوحش والبطش والإهلاك , ويُستنفر الحزب بكل أعضائه طاقات الغضب والحقد والكراهية , فتستعر الصراعات وتعاني الشعوب وتضعف الأوطان , وتلك ببساطة حالة الأحزاب في معظم الأوطان خلال القرن العشرين.

6-القول والفعل

هناك شيئ للقول وآخر للفعل , وما نقوله في أكثر الأحيان لانفعله , وكأن الأقوال وسائل دفاعية من أجل التمويه والتضليل , ويبدو أنها صفة مكتسبة بسبب التخاصم الحاصل مابين السلطة والشعب على مر القرون والعقود التي مرت بها بعض الأوطان.

وهذه الصفة أخذت تلقي بآثارها وسلبيات فعلها على الأوطان في زماننا الجديد , الذي تتجسد فيه الأفكار ويكون للأقوال معنى وفعل وأثر.

الحزب الفلاني يقول بشيء ويفعل ما يناقضه , والنظرية لاتعرف التطبيق , والسياسي يا ليته يقول ولا يفعل بل يفعل ما يعاكس قوله بالتمام والكمال وهلم جرا.

7-الأستئثار

من الصفات الحميدة والمعاني الطيبة التي نقرأ عنها ونتحدث بها هي صفة "الإيثار" لكننا في واقع الحال نستأثر.

والاستئثار هو الاستبداد والتفرد بالشيئ , بينما الإيثار تقديم الآخر على النفس وتعطي معنى يناقض التفرد.

فالتفرد من غرائز النفس الغير مهذبة , والتي تطغى وتؤدي إلى إضطرابات مؤذية في سلوك الجماعات والأفراد , وتدفع إلى تشجيع وتكريس الغرائز الدونية المرتبطة بها.

فالتفرد يدفع إلى تشويش الرؤية وتعطيل العقل , وهيمنة الشر على الخير , وضياع المعايير والأسس , لأن الذات الطماعة الشرهة إنشغلت بهمومها ولذائذ حاجاتها ودوافعها.

وهذا يشمل كل نشاط بشري ومنها الأفكار والآراء , فعندما يلفها ناعور الإستئثار يجعل من كل فكرة لا تتفق معها جريمة وخطيئة كبرى , ومن هنا تنطلق مشروعات المآسي والويلات البشرية.

. إن أعظم ما يختم به العلماء والفقهاء أقوالهم وأراءهم حين يقولون "هذا ما أقوله أو أراه والله أعلم"

بمعنى أن الصراع من أجل البقاء لم يعد عاطفيا بل فكريا وعقليا , وبحاجة لإعمال العقول وعدم التفريط بأي منها

حرية الرأي من ضرورات بقاء الأمم وقوتها وتطورها , ومن أساسيات قوة أي نظام إجتماعي سواء كان سياسيا أو تجاريا أو ثقافيا

الناس لا يفصلون بين الذات والموضوع , بين ما يقولونه وما يرونه وأنفسهم , فتكون معارضة الرأي إهانة وإعتداء على الأنا

الصائب هو الفصل بين ما نراه في موضوع ما ونفسنا , فعندما ترى ما تراه في موضوع ما , وأنا أرى ما أرى فيه لا يعني إننا في خصام وتنافر ونزاع , بل نقول وجهات نظرنا وفقا لما هو متوفر لكل منا من معلومات وحقائق ومسلمات , فأنت صحيح وفقا لمقدار ما تدري وأنا كذلك

علينا أن نجتهد في إكتشاف المشتركات عليه فيما نراه ونحاول إستثماره وتطويره , وعند ذلك سنجد أن التباين تضاءل والتفاعل تنامي والعطاء ازدهر

كل فرد ينزع إلى التميز والتباين الذي يعطيه هويته المحددة.
بل عند ميلادنا نكتسب أسماءا تميزنا عن الآخرين.
وتلك حقائق نعيشها في لا وعينا ونناقضها بسلوكنا الواعي , ونتكاسل عن الجد والإجتهاد لإكتشاف الوسائل التي تحقق سعادة الإختلاف

وهو إقرار صريح بأن التمام في كل شيء بحوزة الخالق العظيم وليس المخلوق , وإعتراف بأن القول والرأي مهما كان رصينا فأنه ليس الحقيقة المطلقة أو الصواب المطلق , وكذلك هو تصريح بجواز صواب الرأي الآخر وضرورته للمعرفة والإدراك , وإعلان واضح عن رفض الإنكار والقبول بالاختلاف.

وخلاصة القول قبل الإطالة والإسهاب , إننا بحاجة لإشاعة روح العائلة الواحد في أجواء الوطن الواحد. فأبناء العائلة الواحدة يتحاورون ويتخاصمون لكنهم لا يفرطون بأنفسهم وبعائلاتهم وينتهجون نهجا موضوعيا مفيدا لتحقيق رغبات وأماني الجميع.

ليتقاسم الجميع الغنيمة وغنيمة كل شعب هو الوطن الآمن السعيد , والعز والرفاهية والتقدم والمنعة والحياة الحرة الكريمة العادلة.

وفي الغرب يقولون علينا أن نقتسم الكعكة ليأكل منها الجميع عندها يعرف طعمها الجميع ويفرح بها الجميع

رابعا: نزعة الإختلاف!!

الإختلاف نزعة خلقية قائمة في أعماق المخلوقات ومنها البشر, إبتداءً من نويات الخلايا والجينات وعناصرها التي تربط شريطي DNA ببعضهما , والحوامض الأمينية الداخلة في تركيبهما وعناصر تفاعلها مع بعضها , لتنتج بروتينات تحدد السلوك العام للمخلوقات.

وقيمة الإختلاف الخلقي تكمن في عشوائية التفاعلات الجينية , وبتواشج الكروموسومات الخلقية بنصفها القادم من الذكر والأنثى.

وبهذا الإخصاب العشوائي والتفاعل المبني على قوانين التجاذبات المحكومة بالصدفة , تتحقق متوالية الإختلاف الإجتماعي والنفسي والفكري , والمفردات الأخرى التي تعبر عنها المخلوقات الساعية فوق البسيطة.

ولهذا فمن الصعب أن نجد مخلوقين ينظران بزاوية واحدة إلى أي موضوع في الحياة.

ولا يمكن لمن يسكن شرق الأرض أن يرى مثلما يرى الساكن في غربها , لأن الأرض كروية ولا يمكن أن يمتلك الواقف فيها على نقطتين متباعدتين ذات الزاوية من النظر ببصره وبصيرته.

وهكذا فالإختلاف شريعة البقاء الدائمة , وطاقة ضرورية للديمومة والتفاعل الحي مع المفردات المستجدة.

والخلية المخصبة لأي مخلوق هي خلية واحدة , ولكي تصنع الحياة فأنها تنقسم وتتواصل في الإنقسام حتى تنشئ أعضاءً مختلفة بالكامل عن بعضها والتفاعل فيما بينها , فتبني الجسم الحي الذي يمارس الحياة.

وعندما نعود للأديان , فالأرض فيها مئات الأديان والعقائد واللغات , ولا يمكن لدين أن لا يختلف عن دين آخر في زاوية نظره للموضوع ومعاني إقترابه من عقيدته ومبادئه ومعانيه.

وحتى في الدين الواحد هناك فرقا وجماعات ومذاهب ومدارس وتوجهات , وبرغم أنها من دين واحد تختلف في مناهج إقترابها وفهمها للدين وفقا لقدرات إدراكها وإجتهادها.

ففي الإسلام مذاهب متنوعة لدين واحد تختلف في مناهجها ورؤاها وتشريعاتها . وفي المذاهب فرق وجماعات.

فكل حي ينمو ويتفرع مثلما تتفرع الأشجار , فترى الجذر واحد , والجذع واحد , والأغصان مختلفة في أشكالها وأطوالها ومتاناتها , وتلك سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا.

الحياة مبتهجة بالألوان المتفاعلة المنسجمة بظلالها وإختلافاتها وتمازجاتها وتحولاتها اللونية المطلقة , والموت سعيد بضياع الإختلافات وديمومة الصمت الأبيد

الحياة عبارة عن " من زرع حصد" و"من جد وجد" و"من سار على الدرب وصل", إنها بهذه البساطة والوضوح والشمول

الحياة تتأسس من خلال تفاعلاتنا اليومية الجادة المحكومة بقوانين البديهية والإرادة والإصرار.
الحياة ليست عنادا وإفرادا "كأفراد البعير المعبد

الحياة تحلو بالتفاعل والإعتداد بالرأي وبإحترام الآخر , لأنه يملك رأيا وموقفا ووجهة نظر , وتكون لذيذة بالجد والإجتهاد والمثابرة والتنافس الحر الشريف

الحياة تصفو وتحلو عندما يجمعنا همّ واحد وغاية واحدة تستوعب طاقاتنا وإجتهاداتنا

الاستئثار هو الاستبداد والتفرد بالشيء , بينما الإيثار تقديم الآخر على النفس وتعطي معنى يناقض التفرد.

التفرد من غرائز النفس الغير محمودة , والتي تطغى وتؤدي إلى إضطرابات مؤذية في سلوك الجماعات والأفراد , وتدفع إلى تشجيع وتكريس

حتى في العائلة الواحدة الناتجة عن تفاعل رجل وإمرأة وفقا لشريعة الإختلاف فينجبان الأطفال , ومنذ الصغر كل طفل يختلف عن الآخر, وإذا بهم في الكِبر قد شق كل منهم طريقه وحقق ما يريد بأسلوب يختلف عن أخيه وأمه وأبيه.

تلك هي التي يعرفها خالقنا الذي يقول في محكم كتابه " ولو شاء لجعلكم أمة واحدة..."

ومشكلتنا أنا نتحسس من كلمة إختلاف, ونربطها بالكثير من المشاعر السلبية , بل ونخافها ونرهبها ونحسبها حربا وسفك دماء.

والصحيح أن نقر بالإختلاف, ونحترم بعضنا البعض ونقدر إختلافنا في الرأي والمعتقد.

"ويريد الإله أن يُكرَم العقل, وألا تُحقّر الآراء"

فالتقدم لا يعني إنكار الإختلاف , بل إحترامه والإعتراف به وتقديره , لأنه من أصول الحياة وضروراتها.

والعالم المتقدم , لا ينكر الإختلاف , بل يؤكد عليه في دساتيره وقوانينه ويعتبر التمييز على أساس الإختلاف جريمة ضد القانون.

فالإختلاف مطلب إنساني وحضاري , وقوة لا بد منها لكي نتقدم.

ولهذا فأقوى دول العالم تمتلك أكبر عدد من مكونات الإختلاف , التي تحقق بواسطتها سبيكة وجودها القوي , وتبني حاضرها ومستقبلها , وتمضي في دروب الصيرورة الكبرى.

وفي عالمنا المتأخر, ننظر للإختلاف على أنه حرب وعدوان وثقافة محرمة وتفاعل منكر, وكأن ما نؤمن به هو الموجود فوق الأرض وحسب.

وكأن لا دين إلا ديننا , ولا ثقافة إلا ثقافتنا , ولا صوت إلا صوتنا.

وكأننا لا ندرك أننا أصبحنا قلة في ديننا , فالعرب هم ليسوا أكثر إسلاما من غيرهم , ولا هم أكبر مجتمع إسلامي.

فالهند فيها مسلمون يناهزون عدد العرب , وكذلك الصين والباكستان وإندونيسيا.

العرب يتضاءل دورهم , فلا يقدمون شيئا متميزا عن غيرهم للإسلام , مع أن لغتهم لغة القرآن.

والإضافات التي تقدم للإسلام اليوم في العالم هي ليست من أصول عربية , وإنما من أصول أخرى.

العرب منشغلون بما يبعدهم عن جوهر الدين , وينسيهم لغتهم وعملهم بدين الإسلام وتعاليمه , وهم في غاية الإمعان في تجهيل بعضهم وتسفيه آراء بعضهم وإستنزاف طاقاتهم وتنغيص أيامهم , وإستدعاء مَن لا يرحمهم وتسليط من يقسو عليهم.

العرب صاروا على بعضهم ولم يعودوا مع بعضهم.

فما أبعدهم عن الدين بالقياس إلى غيرهم من المسلمين.

فالإختلاف عندهم إقتتال إباسم المذهب والجماعة والفرقة يقدمون أوحش الأمثلة للمسلمين.

أ ليس هذا إمتهانا للإختلاف وإنتزاع للإئتلاف وتفريغ لطاقة التفاعل الإيجابي من محتواها وتحويلها إلى مصدر للويلات والهلاك.

لكي نعيش مع بعضنا علينا أن نختلف , ولكي نتقدم يجب أن نختلف.

ولكي نكون أقوى يجب أن نختلف ونقر بالإختلاف ونحترمه ونعده قيمة أخلاقية ووطنية ودينية ذات شأن في مسيرة حياتنا.

أما أن نتوهم بغير هذا فأننا نحترق ونتقاتل وندمر بعضنا , ونتحول إلى رماد تذروه الرياح الهابة من كل حدب وصوب.

"إختلاف أمتي رحمة" الكثيرون لا يقرون بأن هذا كلام لنبي كريم , لكن مثل هذا القول لا يمكن أن يصدر عن شخص عادي لم يخبر سرائر النفوس وطبائع الأكوان بأعمق الإمعان.

الغرائز الدونية المرتبطة بها

إن أعظم ما يختم به العلماء والفقهاء أقوالهم وأراءهم حين يقولون "هذا ما أقوله أو أراه والله أعلم" وهو إقرار صريح بأن التمام في كل شيء بحوزة الخالق العظيم وليس المخلوق

إننا بحاجة لإشاعة روح العائلة الواحد في أجواء الوطن الواحد. فأبناء العائلة الواحدة يتحاورون ويتخاصمون لكنهم لا يفرطون بأنفسهم وبعائلاتهم وينتهجون نهجا موضوعيا مفيدا لتحقيق رغبات وأماني الجميع.

لا يمكن لمن يسكن شرق الأرض أن يرى مثلما يرى الساكن في غربها , لأن الأرض كروية ولا يمكن أن يمتلك الواقف فيها على نقطتين متباعدتين ذات الزاوية من النظر ببصره وبصيرته.

الإختلاف شريعة البقاء الدائمة , وطاقة ضرورية للديمومة والتفاعل الحي مع المفردات المستجدة.

والخلية المنحبة لأي مخلوق هي خلية واحدة , ولكي تصنع الحياة فأنها تنقسم وتتواصل في الإنقسام حتى تنشئ أعضاءً مختلفة بالكامل عن بعضها والتفاعل فيما بينها , فتبني الجسم الحي الذي يمارس الحياة

كل حي ينمو ويتفرع مثلما تتفرع الأشجار , فترى الجذر واحد , والجذع واحد , والأغصان مختلفة في أشكالها

لقد إقترفنا أبشع الجرائم وأفحش الأعمال بإسم الدين والإختلاف , لأننا نتوهم بأن الحياة مسرحا للتماثل والتشابه , ومرتعا للقطيع التي ترتع تحت رحمة ذئب يأكل منها ما يشاء وفي أي وقت يشاء وهي تسبح له بالطاعة والولاء.

الإختلاف مع الآخر قوة والإذعان له ضعف , وتلك حقيقة القوة والحضارة والصيرورة وما عداها, ضلال وبهتان وضعف وإنحلال وتدهور فأين قوتنا ونحن نسعى كالقطيع.

الإختلاف ليس عدوانا ولا عداوة.

الإختلاف تفاعل حياة ناجحة ومتطورة ذات قيمة إنسانية راقية , فالآراء المختلفة متفاعلة فيما بينها لتصنع مسيرتها المتجددة وتمنحها طاقتها وقوة صيرورتها , فأقوى دول العالم قد صنعتها قوة الإختلاف المتفاعل في بودقة الوطنية الخلاقة.

خامسا: تجاوز الإختلاف!!

من حكمة الخالق العظيم أنه أرسل إلينا رسلا وأنبياء وكتبا سماوية , ليغذي فينا نزعة الإختلاف ويرضيها وهو الخبير بخلقه , ومقصده أن نعي بأن لا أحد منا يمكنه أن يكون صاحب الحقيقة المطلقة والرأي المطلق , لأنها من خصوصيات الخالق الأحد الصمد الذي لا يحيطون بشيئ من علمه إلا بتقدير منه.

"...إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون" المائدة 48

فنحن مخلوقات ذات بنية فسيولوجية وبيولوجية واحدة , لكن ملامحنا ونبرات أصواتنا تختلف , بصمات أصابعنا وعقولنا وأفكارنا تختلف , وإيقاعات أعماقنا ومفردات صيرورتنا تختلف , وفي أبداننا أعضاء مختلفة تتفاعل مع بعضها لتحقيق الوجود الحي للفرد والمحافظة على نشاطه السليم في محيطه , وعندما تفشل الأعضاء في تأدية وظائفها يتهاوى البشر في فم التراب.

فبالإختلاف نكون ونعيش مهرجان وجودٍ متدفق بالألوان والصياغات المتعددة , والصفات والأفكار والآراء والإتجاهات التي تصنع الحياة.

فالحياة بأصدق تعريفاتها تفاعل الإختلاف والتباين.

والموت يمكن تعريفه بأنه تفاعل المتشابهات.

والدول المتقدمة تقر بالإختلاف وبهذا فهي تتجاوزه , لأنه حالة فاعلة في كيان الوطن الذي يضمن حقوق وواجبات الجميع.

فتجاوز الإختلاف يكون بالتفاعل معه كحقيقة واقعهِ وقوة مولدة للحياة الحرة الكريمة , التي تصنع الإقتدار وتحقق الإرادة , وتبني معالم الإرتقاء وبقاء الأصلح للأرض والحياة.

والإقرار بالإختلاف يعني الانتقال إلى مرحلة البناء الإنساني والحضاري المطلق.

ووفقا لهذه القاعدة والناموس الكوني بنيت الحضارات وتحققت الإنجازات الكبيرة.

وكلما إزداد الإقرار بالإختلاف تم إستخدام قدراته للبناء والتقدم.

وعندما نتأمل خطوات الرسول الكريم (ص) في بداية دعوته للدين , نجد أن الإقرار بالإختلاف كان واضحا وقويا ومؤثرا في صناعة الأيام , وتحديد معالم طريق وإتجاهات الدعوة إلى الإسلام.

وهذا يستند بقوة ووعي خلاق على معنى رسالته التي هي للناس أجمعين , فهو رسول للإنسانية وفي هذا يكمن المعنى التام للإقرار بالإختلاف, للوصول إلى قلب الإنسانية ونور الله الواحد الأحد , الذي خلق الناس من نفس واحدة وجعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا ويتفاعلوا , ويؤسسوا حضارة الأرض بقدرات إختلافهم ومعاني رؤاهم المتنوعة.

وأطوالها ومتاناتها , وتلك سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا

مشكلتنا أنا نتحسس من كلمة إختلاف, ونربطها بالكثير من المشاعر السلبية , بل ونخافها ونرهبها ونحسبها حربا وسفك دماء

التقدم لا يعني إنكار الإختلاف , بل إحترامه والإعتراف به وتقديره , لأنه من أصول الحياة وضروراتها

في عالمنا المتأخر , ننظر للإختلاف على أنه حرب وعدوان وثقافة محرمة وتفاعل منكر , وكأن ما نؤمن به هو الموجود فوق الأرض وحسب

كأن لا دين إلا ديننا , ولا ثقافة إلا ثقافتنا , ولا صوت إلا صوتنا. وكأننا لا ندرك أننا أصبحنا قلة في ديننا , فالعرب هم ليسوا أكثر إسلاما من غيرهم , ولا هم أكبر مجتمع إسلامي

العرب يتضاءل دورهم , فلا يقدمون شيئا متميزا عن غيرهم للإسلام , مع أن لغتهم لغة القرآن

العرب منشغلون بما يبعدهم عن جوهر الدين , وينسيهم لغتهم وعملهم بدين الإسلام وتعاليمه , وهم في غاية الإمعان في تجهيل بعضهم وتسفيه آراء بعضهم وإستنزاف طاقاتهم وتبخيس أيامهم , وإستدعاء مَن لا يرحمهم وتسليط من يقسو عليهم

ومضى وعي الإختلاف بالإقرار به وإستثمار طاقاته لتحقيق أعظم السعادة وأكبر البناء الإنساني الذي ينفع الناس.

وبهذا تفاعل العرب مع ثقافات وحضارات الدنيا , التي بسطت لهم مرابعها ودخلت في دين الله أفواجا , لأنه حافظ على معالم إختلافهم ورسخ فيهم المساواة والوحدة الخالصة لرب واحد لا أحد سواه.

فأصبح الناس برغم كل إختلافاتهم, لا فرق بينهم إلا بمدى تفاعلهم مع خالقهم وبارئ الأكوان والأرواح , وبهذا تقرر الإنتماء الحقيقي للإنسانية وتجسدت معالم الصيرورة الحضارية الكبرى.

إن عدم الإقرار بالاختلاف وضرورته للوجود الأرضي سلوك سلبي , لأنه سنة كونية وديدن الوجود الحي وجوهره الحقيقي , الذي لا يعلوه جوهر أو يفوز عليه مصدر , فلولا الإختلاف لما وجد الكون ولما تجرعنا الحياة وتواصلنا فيها بهذا الحب والإنتماء الصادق لمفرداتها.

فنحن نحب الألوان ولا نرغب باللون الواحد , ونميل للتنوع في سلوكنا وأساليب إرتباطنا بالحياة وأصولها وفروعها.

والمشكلة ليست في الإختلاف وإنما في التوظيف الإنفعالي لمفرداته وتصعيد تفاعلاتها العاطفية إلى أعلى درجات الفناء.

فعندما نصغي إلى الطبيعة ونتأملها بصفاء ومحبة , نجد أن المعرفة والآراء والأفكار والتجارب تدفعنا إلى التفاعل , فنحن نتفاعل لأننا نختلف أو نمتلك آراءَ وتصورات متنوعة.

والأرض بودقة دوّارة لتفاعل الإختلافات فتنتجها إختلافات متطورة ذات قدرة على التقدم والإرتقاء.

فالإختلاف نعمة وبركة من بركات الخالق العظيم , لأنه يريد لنا السعادة والرحمة والتواصل والإبداع الجميل.

والآراء العلمية أو التفاعلات البشرية اللامحدودة تدفعنا للإقرار بضرورة الإختلاف , وأهميته ودوره في صناعة الحضارة والتطور وإشاعة الفضيلة بين الناس أجمعين.

والإختلاف يدعونا للمشاركة في بناء الحياة بمناهجها وسبلها ورؤاها وعطاءاتها المتنورة بتفاعلاته المبهجة النظرة , والتي هي رحم الصيرورة الأكبر, والمشاركة تعني الرعاية والعناية والمحبة والتقارب وتحرير الناس من غفلتها وجهلها وتراب ضلالتها المتراكم على بصائرها , التي أرادها الله تعالى أن تتفكر في خلق السماوات والأرض وما بينهما.

و"إن في خلق السماوات والأرض وإختلاف الليل والنهار لآيات لألي الألباب" عمران 190

سادسا: وحدة التنوع والإختلاف!!

تفاعل القدرات البشرية بطريقة إيجابية يؤدي إلى نتائج ذات قيمة مؤثرة في الحياة , وساعية لتأكيد الدور الحي للأفكار المسبوكة بقدرات العقول.

ولهذا فالبشرية في عرفها التنويري أدركت حقيقة التواصل المعرفي وإجهاد العقول , للوصول إلى منطلقات تكفل وجود الأفكار الفاعلة في فكرة ذات فعالية شاملة , يمكن تسميتها بالفكرة الجوهرية.

ذلك أن كل شيئ ينتمي إلى شيئ

فحقيقة الوجود بأسره يرتكز على واحد , والواحد له قدرات التعدد المطلق , وكل متعدد في حقيقة أصله ينتمي إلى ذلك الواحد.

وهكذا فنحن في حقيقة سلوكنا المتنوع نعبّر عن إرادة الواحد الذي أوجد المطلق المتعدد.

ومن هنا فأن أي نظام حياتي مهما كان نوعه ومنطلقه لا يمكنه أن يأتي إلى النجاح من غير إدراك الإنتماء الواحد للمتعدد الفاعل فيه , أو أن يكتشف الجوهر الواحد الجامع لعناصره لكي يصنع سبيكة صيرورته الأقوى.

الإختلاف تفاعل حياة ناجحة ومتطورة ذات قيمة إنسانية راقية , فالآراء المختلفة متفاعلة فيما بينها لتصنع مسيرتها المتجددة وتمنحها طاقتها وقوة صيرورتها , فأقوى دول العالم قد صنعتها قوة الإختلاف المتفاعل في بودقة الوطنية الخلاقة

نحن مخلوقات ذات بنية فسيولوجية وبيولوجية واحدة , لكن ملامحنا ونبرات أصواتنا تختلف , بصمات أصابعنا وعقولنا وأفكارنا تختلف , وإيقاعات أعماقنا ومفردات صيرورتنا تختلف

في أبداننا أعضاء مختلفة تتفاعل مع بعضها لتحقيق الوجود الحي للفرد والمحافظة على نشاطه السليم في محيطه , وعندما تفشل الأعضاء في تأدية وظائفها يتهاوى البشر في فم التراب.

تجاوز الإختلاف يكون بالتفاعل معه كحقيقة واقعة وقوة مولدة للحياة الحرة الكريمة , التي تصنع الإقتدار وتحقق الإرادة , وتبني معالم الإرتقاء وبقاء الأصلح للأرض والحياة

إن عدم الإقرار بالاختلاف وضرورته للوجود الأرضي سلوك سلبي , لأنه سنة كونية وديدن الوجود الحي وجوهره الحقيقي , الذي لا يعلوه جوهر أو يفوز عليه مصدر

عندما نصغي إلى الطبيعة ونتأملها بصفاء ومحبة , نجد أن المعرفة والآراء والأفكار والتجارب تدفعنا إلى التفاعل ,

وهذا المفهوم ينطبق على الأنظمة السياسية والمؤسسات والقوى والأحزاب , فكل منها لا يعزز قوته إذا أغفل إرادة الواحد الكامنة فيه , وعجز عن إكتشاف طاقة التوحد والتفاعل اللازم والمحكوم بالجذر الواحد والأصل الواحد.

وهكذا فأن النظام السياسي في المجتمع إذ جهَلَ حقيقة الجامع الضامن للتطور والإرتقاء والتقدم فسيؤدي إلى تداعيات خطيرة ومدمرة.

وفي بعض الأنظمة صار إنحراف هذا المفهوم قاعدة الحكم والعمل السياسي , بحيث يتوهم الفرد أنه مقياس للتوحد والتماسك , فيجعل الآخرين أو يدفعهم ويجبرهم بوسائله السلطوية إلى الإذعان لذاته وحسب , لتأكيد سطوته عليهم.

ولهذا تأسست الأنظمة الإستبدادية ووجد الحاكم الطاغية الذي لا يؤمن حتى بنفسه , وإنما يريد الآخرين عبيدا في مقام حضرته.

ولكي يتحقق النجاح اللازم في الحياة وتتقدم المجتمعات لابد لها من فهم هذه الحقيقة , التي أكدتها المسيرة الحضارية العربية عندما رفعت راية الوحدانية , وسعت للإرتقاء بالوعي البشري إلى آفاق التوحيد المطلق.

وبذلك تفجرت قدرات الإنسان وأضاف للحياة ما لم يتمكن من إضافته قبل هذه الثورة في الوعي والعقل والروح والوجدان.

وهكذا فالإختلاف نعمة مطلقة!!

فنحن نتفاعل لأننا نختلف أو نمتلك آراءَ وتصورات متنوعة

الإختلاف يدعونا للمشاركة في بناء الحياة بمناهجها وسبلها ورؤاها وعطاءاتها المتنورة بتفاعلاته المبهجة النظرة , والتي هي رحم الصيرورة الأكبر

"إن في خلق السماوات والأرض وإختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب" عمران 190

حقيقة الوجود بأسره يرتكز على واحد , والواحد له قدرات التعدد المطلق , وكل متعدد في حقيقة أصله ينتمي إلى ذلك الواحد

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Documents/DocSamarraiMarginsDifference.pdf

***** ******** *****

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

*** *** ***

الكتاب السنوي 2022 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثاني عشر)

الشبكة تدخل عامها 22 من التأسيس و 20 على الويب

22 عاما من الكد... 20 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

كتاب "حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021

التحميل من الموقع العلمي

http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AlHassad2021.pdf

الكتاب الذهبي لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2022 (الفصل السابع: من الكتاب السنوي للشبكة)

التحميل من الموقع العلمي

http://arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetGoldBook.pdf